المحور الثالث: الحركة الوطنية في المغرب الأقصى 1912 -1956م:

فرضت فرنسا على سلطان المغرب المولى **عبد الحفيظ** توقيع معاهدة الحماية يوم 30 مارس 1912م، وبدورها شرعت اسبانيا منذ سنة 1912م في احتلال المنطقة الشمالية من المغرب، فاحتلت تطوان عام 1913م وجعلتها مركزا لقيادتها، عندها أعلن الشعب المغربي عن رفضه لمعاهدة الحماية ومقاومة القوات الفرنسية والاسبانية، فاندلعت المقاومة المسلحة في عدة مناطق، كفاس ومراكش وتافيلالت، لكن عدم التنسيق بين حركات المقاومة وطابعها القبلي وقلة امكانياتها كلها عوامل ساهمت في اضعافها هذا في الجنوب، أما في الشمال فكانت المقاومة ضد الاحتلال الاسباني أشد، حيث تكاتفت قبائل الريف تحت زعامة **عبد الكريم الخطابي**، وبعد انتصاره في معركة **أنوال** تحالف الاسبان وفرنسا على القضاء عليها خلال الفترة ما بين ماي 1925م وماي 1926م، وأمام عدم توازن القوى ضعفت المقاومة المسلحة ونفي زعيمها الخطابي إلى الخارج، ليتطور شكل المقاومة إلى حركة سياسية وطنية حضرية خلال فترة الثلاثينيات والأربعينيات لتنتهي بمزاوجة النشاط السياسي والعمل المسلح قبل أن تخلص إلى استقلال المغرب سنة 1956م.

أولا: الحركة الوطنية المغربية فترة العشرينات

1-عوامل ظهورها:

- الحركة السلفية الإصلاحية التي ظهرت في العالم الإسلامي في مصر وليبيا وتونس، والتي تأثر بها الفكر المغربي الفتي، والتي تهدف إلى نشر التعليم وتقوية نفوذ الدين وإبعاد الخرافات عنه.
- نتائج المقاومة المسلحة صحيح كان هناك فشل عسكري، لكن رسخت في المغاربة روح الصمود والتحدي، فنكسة حرب الريف أوجدت لدى الشباب المغاربة توجه نحو العمل السياسي، والتالي كانت نتائج المقاومة المسلحة حافز مهم لتغيير وسائل الكفاح والالتفاف حولها.

- انتصار تركيا على اليونان في الحرب التركية اليونانية (1921م- 1923م) والذي يعد انتصارا للعالم الإسلامي، فقد أوحى هذا الانتصار أن الاصرار والصمود سيحفز الهمم لعودة الإسلام لمكانته الأولى وعودة الدولة الإسلامية، وامتداد الموجة النصر حتى المغرب.
- تأثير المجلات العربية والإسلامية بزادها المعرفي والتي كانت تأتي من مصر وفلسطين وسوريا والجزائر، والتي تدعوا إلى الإصلاح، منها: جريدة "**الشهاب**" **لابن باديس** التي كانت تقاوم الطرقيين والعملاء الذين يستخدمهم الاستعمار باسم الدين، ومجلة "**المنار**" التي تفد من مصر للشيخ رشيد رضا، ومجلة "**الفتح**" لمحب الدين الخطيب.
- التعليم وتأثير المدارس العصرية التي فتحت أعين الشباب المغربي للمقارنة بين وضع المغرب والوضعية السياسية والاجتماعية والاقتصادية في أوربا، فلاحظوا الفرق الكبير بينها وبين معيشتهم، فحفزهم ذلك لضرورة القيام بعمل ما لتغيير الأوضاع خاصة في المجال التعليمي والثقافي.
- السياسة الاستعمارية التي أدت لضياع هيبة السلطة منذ إمضاء معاهدة الحماية، بالإضافة للوضعية المزرية للمواطن المغربي الاجتماعية والفكرية وانتشار الخرافات والتعلق بالأضرحة والصالحين، أما الوضع الاقتصادي سيطر الاستعمار على الأراضي وإعطائها للمعمرين على حساب المواطن المغربي الذي كان يزداد سوءًا.

2- ارهاصات الحركة الوطنية المغربية فترة العشرينيات:

لقد شكلت النخبة المتنورة رأس الحربة ضد النظام الاستعماري منذ بداية العشرينيات، وكانت البداية **بالنضال الثقافي**، ذلك أن طلبة وتلاميذ جامعة القرويين في فاس وتلاميذ المدارس الثانوية والمعاهد في الرباط وسلا وفاس وتطوان هم من كان بذرة الحركة الوطنية لاهتمامهم بمواضيع المجتمع العامة، ومن هؤلاء الطلبة بدأت تتكون الجماعات الصغيرة التي هي البذرة الأولى لكتلة العمل الوطني والتي تطورت بعد ذلك إلى حزب الاستقلال.

ففي فاس تكونت جماعة من طلبة **القرويين** اهتمت بالدعوة إلى إصلاح التعليم في الكلية العتيقة، ومنها انطلقت فكرة انشاء مدارس حرة ابتدائية لسد النقص في التعليم الابتدائي بسبب تقصير الإدارة الاستعمارية، وهكذا أسست عدة مدارس منها في فاس مدرسة **سيدي بناي** سنة 1919م والمدرسة **الناصرية** سنة 1921م، وشكلت فاس مركز لالتقاء نخبة من الطلبة والمعلمين للتباحث والتشاور، ومنها يحدث الترابط الوطني بين مختلف الأرجاء، هذا التواصل أدى إلى تشكيل الجمعيات.

وفي هذا الصدد تم إحداث جمعيتين بفاس حول المدرسة الناصرية، إحداهما ثقافية تسمى "**الحماسة**" كان يرأسها **محمد مختار السوسي**، والثانية سياسية سرية وتضم بالأساس طلبة القرويين بزعامة **علال الفاسي** سنة 1926م، وفي نفس الفترة تم إنشاء جمعية أخرى بمدرسة الرباط 2 أوت 1926م تحت اسمين اسم علني وهو "**أنصار الحقيقة**" واسم سري وهو "**الرابطة المغربية**"، وتكون لها مكتب يضم من السادة: **أحمد بلافريج**، والمكي الناصري، ومحمد القباح، ومحمد بنونة، وفرع في تطوان وطنجة، وفي إطار هذه الجمعية إلتأم من أصبح بعد ذلك من قادة الحركة الوطنية المغربية أمثال: **محمد بن الحسن الوزاني** وعمر بن عبد الجليل، ومحمد اليزيدي وغيرهم.

وفي مدينة سلا تأسس النادي الأدبي سنة 1927م تحت إشراف **عبد اللطيف الصبيحي**، وفي نفس السنة أسس **سعيد حجي** الجمعية "**الوداد**ية"، وهي جمعية سياسية ثقافية سرية، كانت تصدر جريدة غير مرخص لها تحمل اسم الوداد، وتنشر مقالات نقدية موجهة ضد الاستعمار.

أما في الشمال فكانت تطوان كجماعة فاس تفكر في إصلاح التعليم كسبيل للتحرر، فأرسلت البعثات الطلابية إلى فلسطين والقاهرة لإتمام دراستهم، وكان الوجه البارز هناك هو **عبد السلام بنونة**، حيث كون حركة سرية منذ سنة 1916م، وهي التي وقفت وراء تأسيس المعهد العلمي المغربي، بالإضافة إلى أول مدرسة للصناعة التقليدية، كما قامت بنشر جريدة **الإصلاح**، وتأسيس **المدرسة الأهلية** سنة 1924م التي كان يديرها **محمد داود** المراسل

المجهول لجريدة الأهرام المصرية خلال حرب الريف، وتطوعا كلاهما للتدريس فيها، كما تم تأسيس مطبعة المهدية سنة 1928م التي مولها بنونة وترأس إدارتها داود مما مكن الوطنيين من نشر صحفهم ومجلاتهم وكتبهم ومناشيرهم، وفي أوائل الثلاثينيات تأسست في تطوان المدرسة الخيرية للبنات.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الإرهاصات الأولى للعمل السياسي الوطني قد تبلور عبر إحداث فرع تطوان للجمعية السرية "أنصار الحقيقة" برئاسة بلافريج منذ سنة 1926م، ولقد جاء تأسيسها مباشرة بعد عودة محمد والطيب بنونة من الرباط حيث حضرا تأسيس الجمعية الأم برئاسة بلافريج، وكان هذا بداية لتنسيق العمل بين الوطنيين في منطقتي الاحتلال، وهو تنسيق استمر إلى نهاية فترة الحماية.

ثانيا: الحركة الوطنية المغربية في الجنوب 1930 – 1940م

صدور الظهير البربري[1] 16 ماي 1930م: وهو الذي فجر الحركة الوطنية المغربية، فهو حركة استفزاز، والهدف منه تحطيم وحدة المغرب عن طريق التفريق بين العرب والبربر في العرق وفي التشريع وفي الدين، لضمان البقاء الاستعماري.

فظهر تيار مناهض لهذه السياسة انطلق من المساجد، حيث اتخذه الوطنيون الشباب حجة لتعبئة الشعب ضد سلطة الحماية، وهكذا انطلقت شرارة الاحتجاجات من مدينة **سلا** في 20 جوان، ثم ما لبثت أن عمت معظم المدن كالرباط وفاس ومراكش تحت شعار واحد وهو "**قراءة اللطيف**"، فكانت أماكن العبادة مقرا لهذا الاحتجاج، وكانت الحناجر تذكر في المساجد هذه الكلمات:" **يا لطيف، اللهم نسألك اللطف فيما جرت به المقادير، وأن لا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابرة**". وأخذ الوطنيون الشباب يستعملون الصحافة والتظاهر بالشوارع،

[1] **الظهير البربري:** في 16 كاي 1930م أجبرت الإقامة العامة السلطان الشاب سيدي محمد بن يوسف على توقيع "الظهير البربري، وتضمن هذا القرار إعفاء القبائل البربرية من رضوخها للقضاء المخزني المستند إلى الشريعة الإسلامية، وتكريس نظامها القضائي العرفي في المواد المدنية، وخص البربر في المواد الجزائية للقضاء الجنائي الفرنسي، وبهذا القرار أرادت سلطات الحماية ضرب الوحدة المعنوية التي كانت سائدة بين القبائل البربرية في الجبال وعرب السهول التي كانت بالمدن، ونشر المسيحية داخل المجتمع البربري.

وكان رد فعل الإقامة العامة عنيفا حيث باشرت الاعتقالات للمتظاهرين، ومع ذلك استمرت المظاهرات ضد السياسة البربرية وقراءة اللطيف في المساجد، وتطور الأمر إلى تكوين وفود وإمضاء العرائض، حيث كون أصحاب الرأي في فاس وفدا يتكون من 17 عضوا ليفاوض نائب الجنرال **بيتان** حاكم ناحية فاس يوم 29 جويلية لإطلاق سراح المعتقلين ورفع الحصار على المدينة، ونجحت المفاوضات في إطلاق سراح المعتقلين، واشترطت الإدارة توقيف المظاهرات وقراءة اللطيف، كما سافر وفد يتكون من 7 أشخاص إلى الرباط بزعامة **عبد الرحمان القرشي** إلى الملك يوم 26 أوت 1930م، تضمن مطالب وهي:

- تعميم اللغة العربية
- توحيد برنامج التعليم في سائر المدارس
- تعميم التعليم الدين الإسلامي
- احترام اللغة العربية في الإدارات والمحاكم

لكن دون جدوى عاد الوفد فارغ اليدين، فاستأنفت المظاهرات وقراءة اللطيف في المساجد لمدة 3 أيام، وعادت الإدارة الفرنسية لأعمال العنف والاعتقالات والنفي حتى توقفت قراءة اللطيف نهائيا، وعرفت هذه الحركة "**بالحركة البربرية**" والتي استمرت في عنف مدة 3 أشهر.

لقد مثلت مظاهرات 1930م أول اصطدام عنيف بين الإدارة الاستعمارية والوطنيين، فبعدها نظمت الحركة الوطنية نفسها متخذة عدة وسائل للمجابهة منها على سبيل المثال:

تكوين الخلايا السرية ونشر الحركة بين أفراد الشعب: فمن الخلايا التي تأسست بشكل سري هي تحت اسم "**الزاوية**" التي لا يزيد أعضائها عن 20 عضوا، تكونت سنة 1931م، ولقد تكونت على أساس تمثيل المغرب شماله وجنوبه، ومن أهم اعضائها: **علال الفاسي وأحمد بلافريج والحاج عمر بن عبد الجليل ومحمد بن الحسن الوزاني**، وانضم إليهم محمد

اليزيدي بعد رجوعه من المنفى والعديد من الأعضاء، كما أسسوا أيضا جماعة سرية أخرى سموها "الطائفة" وتكون بمثابة مجلس ثاني تعرض عليه مقررات الزاوية.

إصدار الجرائد: قام الحسن الوزاني واليزيدي وعمر عبد الجليل بإصدار مجلة "**المغرب**" في باريس 1932 – 1936م، بفضل دعم بعض الفرنسيين اليساريين، وفي فاس قام الوطنيين بإصدار جريدة "**عمل الشعب**" سنة 1933م.

الدروس والتجمعات للتوعية: تزعمها علال الفاسي، وهو من أشهر تلاميذ الشيخ **محمد بن العربي العلوي** الذي قام بالربط بين السلفية والحركة الوطنية. فهذه الأخيرة وجدت في السلفية ايديولوجية مناسبة لها، إذ هي عقيدة إصلاحية دينية تدعوا للعودة إلى الإسلام الأصلي أي إسلام السلف الصالح، وتفسر السلفية تقهقر العالم الإسلامي بالعامل الديني معتبرة أن النهضة تمر عبر تصفية المعتقدات مما علق بها من بدع وانحرافات.

وحول هذه الأعمال تكتلت الحركة الوطنية سواء في المنطقة التي تحتلها فرنسا أو المنطقة التي تحتلها اسبانيا. فكانت **كتلة العمل الوطني** هي نواة التنظيم السياسي والتي تأسست سنة 1934م وقد قادها أعضاء كل من "**الزاوية والطائفة**" كعلال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني أحمد بلافريج.

ففي فيفري 1934م عندما قررت السلطات الفرنسية إلحاق محمية المغرب بالإمبراطورية، أثار هذا الإجراء القانوني النخبة الوطنية لمواجهة هذا الوضع بأداة منظمة فكان ميلاد "**كتلة العمل الوطني**"، التي أعلنت عن برنامج إصلاحات تناشد من خلاله فرنسا تطبيق معاهدة الحماية وإلغاء كل مظاهر الحكم المباشر.

وبدءا من أول ديسمبر 1935م وجهت **كتلة العمل الوطني** عدة برقيات إلى السلطات في المغرب وفرنسا وإلى السلطان تطالب بالإصلاحات منها:

- إلغاء الحكم المباشر وتنظيم إدارة المغرب الأقصى.

- إدخال عدد كبير من المغاربة في جمع المجالس الإدارية.
- المساواة بين الموظفين الفرنسيين والمغاربة.
- إنشاء بلديات ومجالس للدوائر وحجر اقتصادية ومجلس وطني يتركب من المغاربة المسلمين واليهود.
- ممارسة الحكم بواسطة 9 وزراء يكونون على اتصال بالإقامة العامة عن طريق مدير عام للشؤون الأهلية يكون مستشارا للحكومة الشريفة.

وردت السلطات الفرنسية أفضى به مستشار الإقامة العامة إلى علال الفاسي فقال:" **مطالبكم تتضمن ثلاثة أقسام، قسم يمكن تنفيذه من الأن، وقسم يمكن تنفيذه ولكن بعد حين، أما القسم الثالث فلا يمكن تنفيذه لأننا لا نريد الجلاء عن المغرب**".

وفي مؤتمرها المنعقد في 25 أكتوبر 1936م صاغت **كتلة العمل المغربي أو الوطني** مطالب **مستعجلة** وقدمتها إلى السلطان وإلى المقيم العام **نوقاس** وهي تطالب: بالحريات الديمقراطية في ميادين الصحافة والطباعة وعقد الاجتماعات وتأسيس الجمعيات والتعليم والتمثيل المسرحي والجولات في الداخل والخارج، وبإقرار الحق النقابي وحق تحرير العرائض وبالعفو العام على جميع المنفيين والمعتقلين السياسيين منذ انتصاب الحماية. لكن دون جدوى.

وفي فيفري 1937م وبسبب الاختلافات الفكرية بين القادة ظهر انقسام كتلة العمل الوطني، فانفرد علال الفاسي صاحب التوجه الإسلامي بزعامة الكتلة وقرر الوزاني صاحب التوجه العصري والثقافة الفرنسية إنشاء حزب جديد فأصبح هناك حزبين وهما:

- **الحزب الوطني لتحقيق المطالب** بزعامة الفاسي وأحمد بلافريج
- **الحركة القومية** بزعامة الوزاني أسست في مارس 1937م وضمت العناصر المثقفة بالثقافة الفرنسية والعصرية.

ولقد تم حل الحزبين إثر أحداث بوفكران سبتمبر 1937م، ونفت أغلب زعماء الحركة الوطنية ومنهم علال الفاسي الذي نفي إلى الغابون.

مراجع الدرس السابع:

- أحمد عبيد: التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية (الجزائر، تونس، المغرب)، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.
- شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة: المنجي سليم وأخرون، مراجعة: فريد السوداني، ط 3، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976م.
- عبد الكريم غلاب: تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية حتى استرجاع الصحراء، ط 3، ج 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000م.
- عبد الله مقلاتي: المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)، ديوان المطبوعات الجامعية، 2014م.
- محمد القبلي: تاريخ المغرب تحيين وتركيب، ط 1، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، 2011م.